منهجية المحدثين العلمية في حفظ كتب الحديث
"رواية ابن سعادة لصحيح البخاري نموذجا"

الباحث الدكتور: محمد الاجواد
المغرب

أحمدك ربي وأستعينك، وأصلي وأسلم على خيرة خلقك سيدنا محمد بن عبد الله، صاحب الرسالة، الذي اجتمعت فيه المعالم، واقترن اسمه باسم الحق سبحانه في أفضل مقالة، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد،

فإن الاشتغال بالحديث النبوي الشريف، لا يرغب فيه إلا فحول الرجال1، الذين تمسكوا بالجد والاجتهاد، وترفعت أنفسهم عن سفاسف الأمور والأعمال، وتشبهوا في ذلك بخير القرون والأجيال، من خصهم الله سبحانه بصحبة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، فرفعوا راية السنة والحديث، وقدموها على كل كلام وحديث، حاشا كتاب الله عز وجل، لعلمهم أنه صلى الله عليه وسلم ما ينطق عن الهوى، بمقتضى قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾2، وبما ورد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص حيث قال: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ عَنْ ذَلِكَ، وَقَالُوا: تَكْتُبُ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا؟ فَأَمْسَكْتُ، حَتَّى ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: " اكْتُبْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا خَرَجَ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ"3.

فتصدر من الصحابة الجم الغفير لحفظ الحديث عنه صلى الله عليه وسلم، ثم حمله عنهم أئمة أعلام، وعلماء أفذاذ عدول، قاموا بما أوجب الله عليهم من التبليغ قال تعالى: ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾4. ورغبة منهم في الانخراط في عموم دعائه صلى الله عليه وسلم: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ» 5.

ثم اتجهت هم السابقين للتصنيف، مخافة الدرس والنسيان. فكانت محاولات هنا وهناك، كان أهمها ابتداء من الإمام مالك إمام دار الهجرة الذي صنف الموطأ، جمع فيه بين الرواية والدراية، فرتبه على أبواب الفقه فبلغ في ذلك النهاية، فكان أصح الكتب6 بعد كتاب الله تعالى7. وتنوعت مناهج المحدثين بعده في تآليفهم، فظهرت الجوامع، والسنن، والمسانيد، والمستدركات، والمصنفات، والمجاميع، منها ما أفرد الصحيح، ومنها ما أفرد الضعيف، ومنها ما جمع بينهما وساق لكل حديث سنده ليعلم حال صحته من ضعفه.

ثم بعد ذلك اتجهت هم العلماء إلى حفظ نقل الكتب المعتمدة في الحديث، ومن بينها أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى وهو صحيح البخاري، هذا الكتاب الذي يعد من أهم مصادر السنة التي حظيت باهتمام بالغ شرقا وغربا، في القديم والحديث، لما للبخاري من شروط دقيقة في نقل الحديث والتثبت منه، إضافة إلى ما كان عليه من سعة الحفظ ودقة المعرفة بالرجال وعلل الحديث.

لهذا فإن مما اهتم به العلماء في نقل كتب السنة وسيلتين اثنتين الأولى والتي سنتناولها في هذه الورقة العلمية وهي النقل بالسماع المتصل إلى صاحب الكتاب، والثانية وهي استعمال نصوص الكتاب في مختلف كتب الفقه بعده، ذلك أن ربط القول بدليله من الكتاب والسنة، فيه من الحكم والفوائد الشيء الكبير، من ذلك استشعار القارئ المتفقه أنه موصول بالله ورسوله، متعبد لله بدراسته وتطبيقه، كما فيه حفظ لهذه الكتب من الاندراس، فنحن لو تتبعنا كتب الفقه لاستطعنا جمع كل مصادر السنة المعروفة أو أغلبها، لما في كتب الفقه من كثرة الإحالة عليها.

هذا وتجدر الإشارة إلى أن الهجوم على تراثنا الإسلامي لا يكاد يتوقف، وخصوصا صحيح البخاري ـ أهم كتب الحديث في التاريخ الإسلامي ـ، علما من هؤلاء المنتقدين أنهم لو أسقطوا صحيح البخاري، فسيسقط بسقوطه كل كتب السنة الأخرى، لأنه أصحها على الإطلاق، مستغلين في كل هذا مسألتين اثنتين:

الأولى: تأكدهم أن أغلب الناس لا تقرأ، فإذا بثت فيهم الشبهات التي نقلوها عن المستشرقين أو عن غلاة الشيعة ـ والتي أجاب عنها كلها الأقدمون ـ فإنها تفعل بهم الأفاعيل لما تبثه في أنفسهم من الشك والاضطراب، مرده إلى الجهل بالأمر.

الثانية: الأموال والمنابر الكثيرة التي فتحت على هؤلاء، سواء من منظمات ذات أصول عربية، أو خارجية صهيونية.

وأهم شبهتين يطلقها هؤلاء على الإمام البخاري وصحيحه:

1. أنه لم يصنف كتابه في عهد قريب من النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف بمن ولد في أواخر القرن الثاني الهجري، أن يجمع صحيح السنة النبوية، لكن هؤلاء نسوا أو تناسوا وهذا هو الأرجح، أن العلوم الإسلامية، وعلم الحديث خصوصا، مثله مثل باقي التخصصات يلزم من يخوض فيه أن يتمكن منه قبل الخوض، فلا نجد أحدا مثلا يتجرأ على علم الطب أو الرياضيات، أو الفيزياء، أو غيرها من العلوم الأخرى، فالكل يحترم الكل، إلا عند العلوم الإسلامية فالكل يتكلم في موضوعها، ويدعي أن له عقلا يمكنه من الخوض فيها دون وسائل وآليات.
2. أنه من يثبت لنا أن النسخة الموجودة الآن لصحيح البخاري هي ما كتبه البخاري بنفسه، فنحن لم نحصل على مخطوطة البخاري بخط يده؟

فنقول لهؤلاء ومن شاكلهم إن البخاري رحمه الله مؤسس لمنهجية عبقرية في نقد الحديث وضبطه، وتوثيق نسبته للنبي صلى الله عليه وسلم، هذا العلم الذي تأسس قبله ونضج معه رحمه الله، كما لا يفوتني هنا أن أذكر أنه مع أن البخاري ولد في أواخر القرن الثاني الهجري، إلا أن له أسانيد عالية بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم فيها ثلاث من الرواة فقط، وأغلب أسانيده من الخماسي.

هذا وتجدر الإشارة أن لعلماء الحديث مناهج دقيقة في نقد الحديث ورده، تبعا لقواعد عقلية ومنطقية مجردة، بعيدة عن الجهل والكراهية، أساسها النصح لله ورسوله، ولشيخي الدكتور سيدي محمد السائح ـ رحمه الله ـ كتاب ماتع في هذا الباب[8] يرجع إليه لمزيد من الفائدة. فقد ضمنه صاحبه أهم مسالك رد الحديث، كما أجاب فيه عن طعن المتحاملين على سنة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، نسأل الله أن يجعله في ميزان حسناته.

هذا من جهة ومن جهة أخرى نقول لمن يسوق شبهة نسخة البخاري نفسه للصحيح إن طرق التحمل والأداء عند علماء الحديث ثمانية مرتبة كما يلي:

1. السماع من لفظ الشيخ.
2. القراءة على الشيخ.
3. الإجازة.
4. المناولة.
5. الكتابة.
6. الإعلام.
7. الوصيّة.
8. الوِجَادَةُ.

فيظهر من هذا الترتيب أن هذه الشبهة التي يسوقها هؤلاء حول النسخة الخطية للبخاري وإن وجدت فلن تكون إلا من قبيل الوجادة، التي هي أضعف طرق التحمل والأداء، قال ابن الصلاح في مقدمته " مِثَالُ الْوِجَادَةِ: أَنْ يَقِفَ عَلَى كِتَابِ شَخْصٍ فِيهِ أَحَادِيثُ يَرْوِيهَا بِخَطِّهِ، وَلَمْ يَلْقَهُ، أَوْ لَقِيَهُ، وَلَكِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ ذَلِكَ الَّذِي وَجَدَهُ بِخَطِّهِ، وَلَا لَهُ مِنْهُ إِجَازَةٌ، وَلَا نَحْوُهَا. فَلَهُ أَنْ يَقُولَ (وَجَدْتُ بِخَطِّ فُلَانٍ، أَوْ قَرَأْتُ بِخَطِّ فُلَانٍ، أَوْ فِي كِتَابِ فُلَانٍ بِخَطِّهِ أَخْبَرَنَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ) وَيَذْكُرُ شَيْخَهُ، وَيَسُوقُ سَائِرَ الْإِسْنَادِ، وَالْمَتْنِ. أَوْ يَقُولُ: (وَجَدْتُ، أَوْ قَرَأْتُ بِخَطِّ فُلَانٍ عَنْ فُلَانٍ... وَهَذَا كُلُّهُ إِذَا وَثِقَ بِأَنَّهُ خَطُّ الْمَذْكُورِ، أَوْ كِتَابُهُ...وَأَمَّا جَوَازُ الْعَمَلِ اعْتِمَادًا عَلَى مَا يُوثَقُ بِهِ مِنْهَا، فَقَدْ رُوِّينَا عَنْ بَعْضِ الْمَالِكِيَّةِ: أَنَّ مُعْظَمَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ مِنَ الْمَالِكِيِّينَ، وَغَيْرِهِمْ لَا يَرَوْنَ الْعَمَلَ بِذَلِكَ."[9] لأنها وإن وجدت فمن سيؤكد لنا أنها هي هي.

هذا وقد قسمت هذا المقال إلى أربعة مباحث وخاتمة فجعلت:

المبحث الأول: في التعريف بابن سعادة.

المبحث الثاني: في أهمية هذه الرواية وأصلها وأوجه اختيارها على غيرها.

المبحث الثالث: في وصف نسخة ابن سعادة.

المبحث الرابع: شهادة بعض الأعلام بصحة هذه النسخة وتميزها على غيرها..

المبحث الخامس: التنقلات التي طرأت على النسخة السعادية ومصيرها.

خاتمة: وجعلتها في تقديم نتائج وخلاصات.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

المبحث الأول: التعريف بابن سعادة.

كثيرا ما يتبادر إلى ذهن الكثير منا حين يقرأ أي كتاب من كتب الحديث كصحيح البخاري أو مسلم، أو موطأ مالك، ويسمي عياض (ت 544هـ) هذه الثلاثة: "بمصاحف السنن"[10]، كيف وصل إلينا هذا الكتاب أو ذاك؟ وهل هو كما جمعه مؤلفه؟ وهل هو هو من غير زيادة أو نقصان، أو تحريف في متونه وأسانيده؟

يبدو أن هذه السؤالات تفتح لطالب العلم بابا مشرعا إلى علوم الحديث الدقيقة.

لقد دون الحديث وانقطع عصر رواية الأحاديث مستقلة منذ وقت بعيد، ودون الحديث كله في الدواوين المختلفة، وبعد أن كان الحديث ينقل من صدر إلى صدر، صار يدون شيئا فشيئا، حتى جمع كله في الكتب.

ولئن كانت رواية الأحاديث مفردة عن الكتب قد انقطعت، فقد نشأ إثرها مباشرة رواية الكتب المصنفة، والعناية بنقلها سالمة من التحريف جيلا بعد جيل، وقد تحقق هذا الأمر على أكمل وجه، وكتبت وضبطت النسخ بالمقابلة والعرض والقراءة على الشيخ، وشاعت في شتى البلدان الإسلامية قبل عصر الطباعة بزمن طويل.

وغرضنا من هذه الورقة العلمية أن نقرب للقارئ واحدة من أهم روايات صحيح البخاري التي وصلت إلينا، فكانت بشهادة جل علماء هذا الفن أيقونة في تمام النقل والصحة، صاحبها "ابن سعادة"، كنار على علم، لازم شيخة وصهره أبي علي الصدفي لسنوات طويلة فقرأ وعرض مرات كثيرة كما سنبينه في حينه إن شاء الله تعالى.

فمن هو ابن سعادة هذا؟ وأين تتجلى أهمية روايته؟

المطلب الأول: التعريف به:

مُوسَى بْنُ سَعَادَةَ مَوْلَى سَعِيدِ بْنِ نَصْرٍ مَوْلَى النَّاصِرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَبُو عِمْرَانَ مِنْ أهل بلنسية وخرج منها عند ما تَمَلَّكَهَا الرُّومُ بَعْدَ الثَّمَانِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ إِلَى دَانِيَةَ ثُمَّ اسْتَوْطَنَ مُرْسِيَةَ سَمِعَ مِنْ أَبِي عَلِيٍّ عَامَّةَ رِوَايَتِهِ وَلازَمَ مَجْلِسَهُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا وَكَانَ صهره والقايم بمونة والمتولي لأشغاله دونه سعة يسار وكرم أصهاره يتفرغ بِذَلِكَ للامْتَاعِ بِمَا رَوَاهُ وَتَفَرَّدَ هُوَ بِحُسْنِ الأُحْدُوثَةِ فِي مَا كَفَاهُ[11].

المطلب الثاني: مشيخته:

لابن سعادة مشايخ كثر أهمهم صهره أبو علي حسين بن محمد الصدفي لازمه سنين عديدة وسمع منه عامة روايته بل كان أتقن تلامذته لروايته. فها هو الضبي يخبرنا عن الأمر فنلفيه يقول في ترجمته: "موسى بن سعادة أبو عمران: فقيه فاضل محدث، أكثر الرواية عن أبي علي الصدفي وكان عارفاً بما روى ونقل."[12]

ومن مشايخه كذلك الشاطبي وابن شفيع سمع منهما في رحلة حجه قال فيه محمد صديق خان: موسى بن سعادة: من أهل مرسية، سمع من صهره ابن سكرة الصدفي، ولازمه، وأكثر عنه، وروى عن الشاطبي، وابن شفيع، قرأ عليهما "الموطأ" ورحل، وحج وسمع السنن، وعُني بالرواية، وانتسخ "الصحيحين" للبخاري ومسلم بخطه، وسمعهما على صهره نحو ستين مرة. حدَّث عنه جماعة، فُقد في سنة 514.[13]

وها هو مخلوف يضيف من مشايخه كذلك في الترجمة له الطرطوشي الذي سمع منه السنن وهذا ما نجده في شجرة النور الزكية: أبو عمران موسى بن سعادة المرسي: كان أحد الأفاضل العلماء والأجواد السمحاء واسع الرواية مع مشاركة في اللغة والأدب رحل وحج وسمع السنن من الطرطوشي وروى عن أبي محمَّد بن مفوز الشاطبي وأبي الحسن بن شفيع وقرأ عليهما الموطأ وكانت ابنته عند أبي علي الصدفي وسمع منه ولازمه

وأكثر عنه وانتسخ صحيحي البخاري ومسلم بخطه وكانا أصلين لا يكاد يوجد في الصحة مثلهما وسمعهما من صهره المذكور وقد تولى القيام بشؤون صهره بما يحتاج إليه من دقيق الأشياء وجليلها.[14]

المطلب الثالث: وفاته:

لم تورد كتب التراجم تاريخا دقيقا لوفاة أبي عمران موسى بن سعادة، لكن ابن الأبار في معجمه يقربنا من تاريخ وفاته فنجده يقول: لم أقف لأبي عمران على خبر بعد هذا التاريخ "يقصد 522هـ" وأحسبه توفي عقبه[15].

المبحث الثاني: في أهمية هذه الرواية وأصلها وأوجه اختيارها على غيرها.

تجدر الإشارة إلى أن صحيح البخاري عند جمهور علماء الإسلام أصح الكتب بعد القرآن الكريم، وأقربها من زمن البعثة، والبخاري قد حمل عنه كتابه الصحيح هذا نحو تسعين ألفا، "قال محمد بن يوسف الفربري: سمع كتاب الصحيح لمحمد بن إسماعيل تسعون ألف رجل فما بقى أحد يروى عنه: غيري[16]"، كما أشير هنا إلى أن صحيح البخاري اشتهرت روايته من طرق أشهرها: **رواية الفربري**[17](ت320هـ) – وهي الأشهر–، وكان سماعه عليه للصحيح مرتين، مرة بفربر سنة 248هـ ومرة ببخارى سنة 252هـ، قال الحافظ ابن حجر في هدي الساري: " وَالرِّوَايَة الَّتِي اتَّصَلت بِالسَّمَاعِ فِي هَذِه الْأَعْصَار وَمَا قبلهَا هِيَ رِوَايَة مُحَمَّد بن يُوسُف بن مطر بن صَالح بن بشر الْفربرِي"[18]، **ورواية النسفي**[19](ت294هـ)، **ورواية البزدوي**[20](ت329هـ)، **ورواية النسوي**[21](ت في حدود 290هـ).

وقد انتشر الرواة عن الفربري في شتى الأقطار، وعنهم الكثرة الكاثرة، ولكن أشهر الروايات عن الفربري رواية أبي ذر الهروي[22].

قال الحافظ في الفتح: ...أتقن الروايات عندنا، وهي رواية أبي ذر عن مشايخه الثلاثة، لضبطه لها وتمييزه لاختلاف سياقها، مع التنبيه إلى ما يحتاج إليه مما يخالفها[23].

أخذها أبو ذر عن شيوخه الثلاثة: السرخسي[24]، وأبي الهيثم الكشميهني[25]، وأبي إسحاق المستملي[26]، وثلاثتهم عن الفربري، عن أبي عبد الله البخاري، وقد تشعبت الطرق وانتشرت عنه بالعالم الإسلامي، لكن معتمد المغاربة رواية ابن سعادة التي أخذها عن الصدفي[27]، عن الباجي[28]، عن أبي ذر، فبينه وبين البخاري خمسة وسائط، يمكن أن يقال عنها سلسلة الذهب، ومعتمد المشارقة رواية اليونيني[29].

قال العلامة الحافظ سيدي محمد عبد الحي الكتاني في معرض كلامه عن وجه اختيار المغاربة للرواية السعادية: إن رواية ابن سعادة ونسخته اختصت بالترجيح والتقديم على غيرها من الروايات لموجبات:

أولها: صحة الأصل المأخوذة منه، فإنها انتسخت على نسخة أبي علي الصدفي التي طوف بها الأمصار، بل إن الصدفي كانت بيده نسخة من الصحيح مقروءة على أبي ذر الهروي، وأبو ذر أخذ عن تلامذة الفربري الذي كانت بيده نسخة الصحيح بخط البخاري كما جاء في الفتح، فعلى هذا فإن نسخة ابن سعادة نسخت من نسخة قوبلت بواسطة على خط البخاري وفي هذا كفاية.

ثانيها: أن أبا عمران موسى ابن سعادة اعتنى بمقابلتها وتصحيحها قال ابن الأبار "انتسخ صحيح البخاري ومسلم بخطه وسمعهما على صهره أبي علي". وذكرنا سابقا أن الفقيه محمد صديق خان حكى في التاج المكلل أن ابن سعادة " انتسخ "الصحيحين" للبخاري ومسلم بخطه، وسمعهما على صهره نحو ستين مرة ". فإذا كان سماعه لها على أبي علي الصدفي وحده نحو ستين مرة، فانظر كم سمعها على غيره من مشايخه، وكم أسمعها للناس بعد وفاة مشايخه.

ثالثها: أن هذه النسخة اتخذها أهل المغرب والأندلس بعد الصدفي وابن سعادة محراب تصحيحهم، ويعسوب روايتهم ودرايتهم، فتداولتها أيدي جماعة من الحفاظ الأعلام، وكبار علماء العدوة والأندلس، وكما سمع فيها موسى بن سعادة وابن أخيه على مشايخهم، سمع الناس عليهم فيها أيضا، فكان أول جزء منها نص سماع حسين بن محمد الأنصاري، على محمد بن يوسف بن سعادة بالمسجد الجامع من مرسية سنة 539هـ، وسماع آخر بتاريخ 556هـ، وبقي الناس يعارضون بها ويقابلون ويصححون عليها إلى زمن شيخ الجماعة بفاس أبي عبد الله محمد بن عبد السلام بناني ت 1163هـ، شارح الاكتفاء[30] أواسط القرن الثاني عشر، وبخطه على أحد أجزائها ما نصه: عارض به كتابه محمد بن عبد السلام بناني كان الله له، من خطه، واتخذها الناس أيضا عمدة وعددوا منها الفروع، حتى أن في آخر القرن العاشر، وأول الحادي عشر انتسخ منها العالم الصالح أبو عبد الله محمد بن علي المري الأندلسي الفاسي المعروف بالجزولي[31]، نسخة للشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي، وهي

النسخة التي قال عنها ولده صاحب المرآة[32] كانت قراءة الشيخ أبي المحاسن للصحيح في نسخة نسخت له في خمسة أسفار من نسخة هذه التجزئة بخط الحافظ أبي عمران موسى ابن سعادة، وكان الفرع المذكور يسرد فيه شيخنا أبو العباس أحمد بن يوسف، ويمسك الأصل عمي شيخنا أبو محمد عبد الرحمن الفاسي(ت 1036هـ)، وتعددت مقابلته مرات، ثم اشتهرت في الفرع المذكور. وصارت هذه النسخة تعرف في فاس بـ: **الشيخة** لتفرع أكثر نسخ فاس والمغرب منها ولكثرة تداول الأعلام لها واعتمادهم عليها.[33]

المبحث الثالث: في وصف نسخة ابن سعادة.

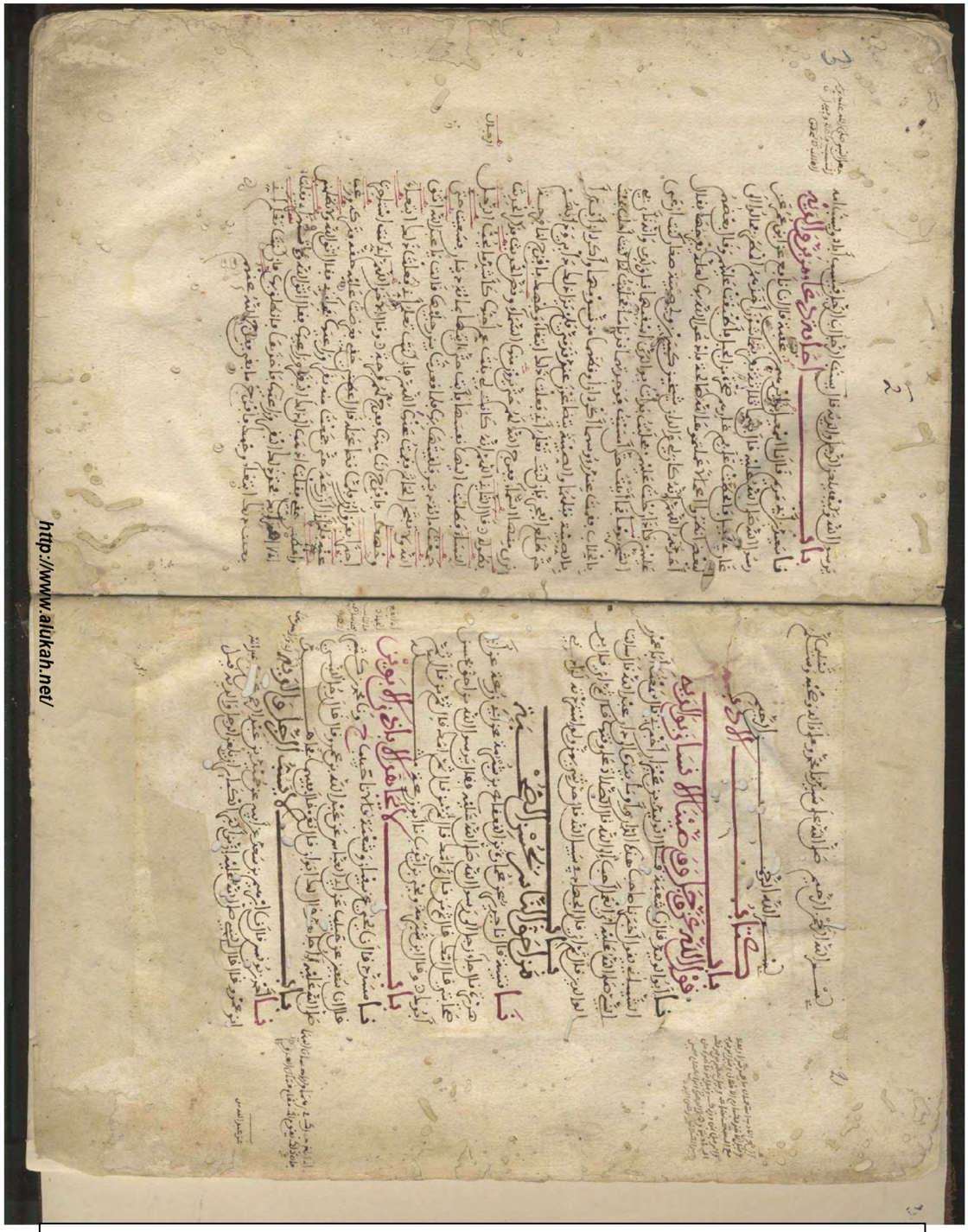
http://www.alukah.net/

اللوحة الأولى من الجزء الخامس من النسخة السعادية

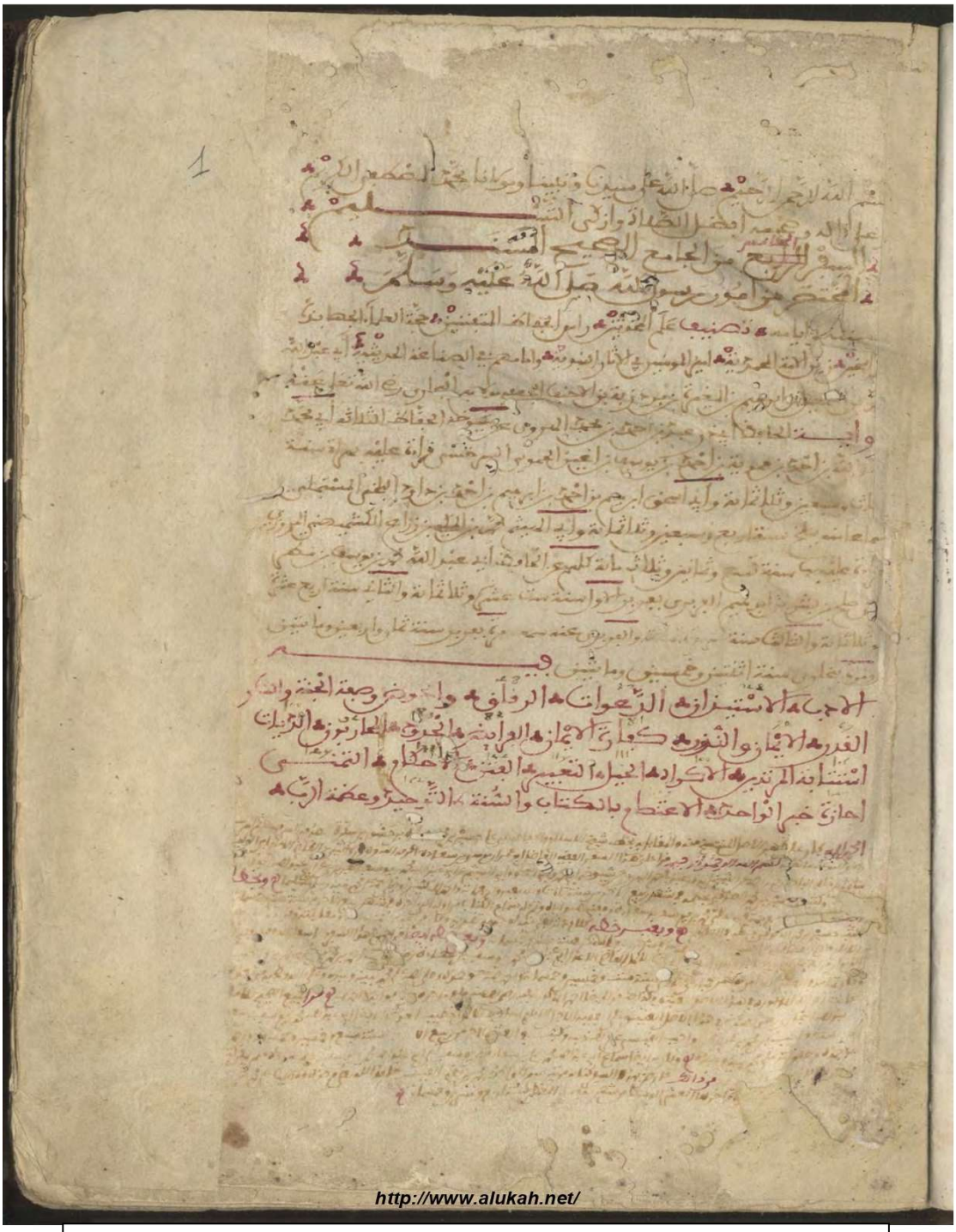

اللوحة الأخيرة من الجزء الخامس من النسخة السعادية وفيها نجد أنها انتسخت من نسخة الصدفي وقوبلت عليه وفيها كذلك إجازة الصدفي بنفسه

ذكر الأستاذ المنوني في مقاله "صحيح البخاري في الدراسات المغربية" أن النسخة السعادية تقع في خمسة أجزاء كتبت بخط أندلسي مغربي حسن السفر الثاني والرابع والخامس منها، تحتفظ بها الخزانة العامة بالرباط، برقم: 1332د، انتسخها أبو عمران موسى بن سعادة البلنسي المرسي من أصل شيخه وصهره أبي علي الصدفي، وفرغ من تعليقها في العشر الأخير من ذي القعدة عام 492هـ. أما الجزء الثالث من هذه النسخة، ضاع بعد أن استعاره المستشرق الفرنسي الأستاذ. ليفي بروفنصال ليطبعه بالتصوير الشمسي كما فعل بالجزء الثاني، وأما الجزء الأول فقد ضاع قديما، وقد كان محفوظا بخزانة القرويين مع الأجزاء الأخرى التي آلت إلى الخزانة العامة بالرباط، غير أن المولى محمد بن عبد الرحمان

(محمد الرابع) استنسخه من النسخة الشيخة، فكتبه بخطه محمد الهادي بن عبد النبي بن المجذوب الفاسي، وفرغ منه في 12 ذي الحجة عام 1285هـ، وهو محفوظ في الخزانة العامة مع الأجزاء الباقية من نسخة ابن سعادة، بالرقم السابق نفسه[34].

ومن الجدير بالذكر أن المستشرق الفرنسي الأستاذ ليفي بروفنصال قام بنشر السفر الثاني من نسخة ابن سعادة منقولا بالتصوير الشمسي من خطه الأصلي، مع تصديره بمقدمة بالعربية باسم: "التنويه والإشادة بمقام رواية ابن سعادة"، للمحدث المغربي محمد عبد الحي الكتاني، مع مقدمة أخرى بالفرنسية لنفس المستشرق، ناشرا هذا السفر في باريز عام 1347هـ.

تنبيه: النسخة الشيخة التي انتسخ منها الجزء الأول إنما أطلقت على النسخة التي كُتبت برسم الشيخ أبي المحاسن يوسف بن محمد الفاسي الفهري (ت1013هـ)، وهي بخط محمد بن علي بن محمد المري الأندلسي الجزولي (ت1018هـ) الذي انتسخها من نسخة ابن سعادة التي بخطه كما بيناه سابقا.

المبحث الرابع: شهادة بعض الأعلام بصحة هذه النسخة وتميزها على غيرها.

ارتأيت في هذا المبحث أن أورد بعض شهادات من ترجموا لأبي عمران موسى ابن سعادة رحمه الله ومنهم:

قال الحافظ أبو جعفر الضبي: "موسى بن سعادة أبو عمران فقيه فاضل محدث، أكثر الرواية عن أبي علي الصدفي وكان عارفاً بما روى ونقل[35]".

وقال الحافظ ابن الأبار: " مُوسَى بن سَعَادَة مولى سعيد بن نصر من أهل مرسية يكنى أَبَا عمرَان سمع صهره أَبَا عَليّ بن سكرة ...وانتسخ صحيحي البُخَارِيّ وَمُسلم بِخَطِّهِ وسمعهما على صهره أبي عَليّ وَكَانَا أصلين لَا يكَاد يُوجد فِي الصِّحَّة مثلهمَا[36]".

وقال أيضا: "... وَكَتَبَ صَحِيحَيِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ بِخَطِّهِ وَتَكَرَّرَ السَّمَاعُ فِيهِمَا عَلَى أَبِي عَلِيٍّ نَحْوَ سِتِّينَ مَرَّةً[37]".

وقال الحافظ أحمد بن محمد المقري التلمساني: " ومنهم أبو عمران موسى بن سعادة، مولى سعيد بن نصر، من أهل مرسية، سمع صهره أبا علي ابن سكرة الصّدفي، ... وانتسخ صحيحي البخاري ومسلم بخطه، وسمعهما على صهره أبي علي، وكانا أصلين لا يكاد يوجد في الصحة مثلهما، حكى الفقيه أبو محمد عاشر بن محمد أنهما سُمعا على أبي علي نحو ستين مرة[38]".

وقال الإمام أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري: "وهذا الأصل أجل الأصول الموجودة بالمغرب، وكان من أحباس جامع القرويين، ولما نسخ منه الفرع المذكور، كان يسرد فيه شيخنا أبو العباس كما تقدم، ويمسك الأصل عمي شيخنا أبو محمد عبد الرحمن وتعددت مقابلته كذلك مرات، ثم استمرت القراءة في الفرع المذكور –النسخة الشيخة– [39]".

وقال أيضا أبو الطيب محمد صديق خان: " موسى بن سعادة من أهل مرسية، سمع من صهره ابن سكرة الصدفي، ولازمه، وأكثر عنه...وعُني بالرواية، وانتسخ "الصحيحين" للبخاري ومسلم بخطه، وسمعهما على صهره نحو ستين مرة[40]".

وقال محمد مخلوف عن هذه الرواية في الشجرة: " أبو عمران موسى بن سعادة المرسي: ...كانت ابنته عند أبي علي الصدفي وسمع منه ولازمه وأكثر عنه وانتسخ صحيحي البخاري ومسلم بخطه وكانا أصلين لا يكاد يوجد في الصحة مثلهما وسمعهما من صهره المذكور[41]".

المبحث الخامس: التنقلات التي طرأت على النسخة السعادية ومصيرها.

قد علمنا سابقا أن هذه النسخة هي بخط أبي عمران موسى بن سعادة، انتسخها أواخر القرن الخامس الهجري، ثم صارت في جملة دواوينه على ابن أخيه أبي عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة، ثم في أوائل القرن الحادي عشر ذكر الشيخ أبو حامد العربي بن يوسف في مرآة المحاسن أنها المحبسة في خزانة القرويين بفاس، وقد يذهب الفكر طويلا في تنقلها مدة نحو 400 سنة، من وفاة محمد بن يوسف سنة 556هـ، إلى أن اعتبرها صاحب المرآة من أحباس خزانة القرويين، فمن أخرجها؟ ومن حبسها؟ وما طرأ عليها خلال ذلك؟

ذكر الحافظ سيدي محمد عبد الحي الكتاني أننا لو عثرنا على الجزء الأول منها لأوضح لنا كثيرا من المبهمات في هذا الشأن، لأنه في الغالب يوجد على ظهر الجزء الأول المحبس الأول، أو الراحل بها إلى المغرب، وحيث لم يوجد فإنه رحمه الله يضع للقارئ احتمالين اثنين:

الأول: أنها بقيت بيد الإصبان منذ استلائهم على مدن الأندلس الكبرى وكانت في الكتب التي ردها ملك الإصبان سانشو على يعقوب بن عبد الحق المريني سنة 684هـ فقد ذكر ابن أبي زرع في روض القرطاس ما نصه: "ولما صرفه إلى بلاده، أمره أن يبعث إليه بما يجده من بلاده

بأيدي النصارى واليهود من كتب المسلمين ومصاحفهم، فبعث إليه بثلاثة عشر حملا، فيها جملة من الكتب، ككتاب الله العزيز، وتفسيره لابن عطية، والثعالبي، ومنها كتب الحديث وشروحها..."[42].

وقد كانت وضعت هذه الكتب بالمدرسة المرينية، ثم ضمت كتبها وكتب غيرها من المدارس الفاسية إلى خزانة القرويين.

الثاني: أن يكون دخول النسخة السعادية للمغرب ثم لخزانة القرويين من طريق أولاد بن حيون الصدفيين، الذين وردوا من الأندلس لفاس[43].

وعلى كل حال فقد أصبحت هذه النسخة من أحباس خزانة القرويين، ولازالت هناك إلى أن استعارها السلطان أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن من خزانة القرويين، ثم رجعت إلى أن أخرجها السلطان المولى عبد الحفيظ معه إلى الرباط.

خاتمة: نتائج وخلاصات.

من خلال ما سبق يمكننا أن نسجل النتائج والخلاصات التالية:

أن صاحب هذه النسخة هو أبو عمران موسى بن سعادة كما أوضحناه سابقا، وهي أدق وأوثق نسخة لصحيح البخاري، قرأت على الصدفي نحو ستين مرة.

في طليعة السفر الأول نجد سند الرواية: "أخبرنا الشيخ الإمام الحافظ أبو علي حسين بن محمد بن فيره الصدفي رضي الله عنه، قراءة مني عليه بدانية، عن الباجي عن أبي ذر الهروي عن شيوخه الثلاثة أبي محمد السرخسي، وأبي الهيثم الكشميهني وأبي إسحاق المستملي، عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربري عن البخاري".

أن هذه الرواية هي معتمد المغاربة وإن كانت بقية الروايات كلها دخلت المغرب بعد ذلك.

للمغاربة رواية أخرى للصحيح في نفس مقام هذه الرواية هي رواية القاضي عياض عن الصدفي.

الصدفي وروايته عمدة ابن سعادة ومنتهى إسناده، ولم نعلم أصلا حرر وعورض على أصل مثل هذه الرواية.

وفي الختام نرجو من العلي القدير أن يقيض لهذه النسخة مجموعة من الباحثين ليخرجوها من دائرة المخطوط إلى دائرة المطبوع، على غرار النسخة اليونينية، وقد كنت عرضت الأمر على مجموعة من الباحثين لازلت أنتظر ردهم على الأمر. والحمد لله أولا وآخرا.

الهوامش:

1انظر علوم الحديث لابن الصلاح، تحقيق نور الدين عتر، ص 54 –بتصرف شديد–.

2 سورة النجم، الآيتين 3 و4.

3 أخرجه الإمام أحمد في مسنده، من مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، تحت رقم 6510، 6802

4 سورة آل عمران، الآية 187.

5 أخرجه الترمذي في سننه، أبواب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، تحت رقم 2658، وأبو يعلى في المعجم تحت رقم 219، والطبراني في المعجم الأوسط تحت رقم 5179.

6 هذا قبل تأليف صحيحي البخاري ومسلم.

7 قال الشافعي: "ما على وجه الأرض بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك"، أخرجه ابن عبد البر في التمهيد ج1 ص76.

8 الكتاب هو: "مسالك رد الحديث بين النقد العلمي والطعن المتحامل"، للدكتور محمد السائح، طبع دار الكلمة للنشر والتوزيع، سنة 1441هـ/ 2020م.

9 ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث "مقدمة ابن الصلاح"، تحقيق نور الدين عتر، ص 177 إلى ص 180 بتصرف، نشر دار الفكر سوريا 1986.

10 القاضي عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ج 1 ص 5.

11 ابن الأبار، معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، ص 188، نشر مكتبة الثقافة الدينية مصر، ط 1، 2000م.

12 أبو جعفر الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، ص 456، ترجمة رقم 1330.

13 محمد صديق خان، التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، ص 313 ترجمة رقم 358.

14 محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تحقيق عبد المجيد خيالي، ج 1 ص 215، ترجمة رقم 483.

15 ابن الأبار، معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، ص 189 و190 بتصرف شديد.

16 الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، ج 2 ص 322، ط 1 ، 2002م.،

17 الفَرَبْرِيُّ المحَدِّثُ، الثِّقَةُ، العَالِمُ، أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ يُوْسُفَ بنِ مَطَرِ بنِ صَالِحِ بنِ بِشْرٍ الفِرَبْرِيُّ، رَاوِي (الجَامِعِ الصَّحِيْحِ) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ البُخَارِيِّ... قال: سَمِعْتُ (الجَامِع) فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِيْنَ وَمائَتَيْنِ، وَمَرَّةً أُخْرَى سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِيْنَ وَمائَتَيْنِ... توفي 320هـ. انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء، للذهبي، ج 15، ص 10 وما بعدها، ترجمة رقم 5.

18 الحافظ ابن حجر، هدي الساري، ص 491، 492.

19 الإِمَامُ، الحَافِظُ، الفَقِيْهُ، القَاضِي، أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيْمُ بنُ مَعْقِلِ بنِ الحَجَّاجِ النَّسفِيُّ، قَاضِي مَدِيْنَةِ نَسَف، انظر ترجمته كاملة بسير أعلام النبلاء، للذهبي، ج 13 ص 493 وما بعدها، ترجمة رقم 241.

20 الشَّيْخُ الكَبِيْرُ المسْنِد، أَبُو طَلْحَةَ مَنْصُوْرُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيّ بن قَرِيْنَة بن سَوِيَّة البَزْدَوِيُّ، وَيُقَالُ: البَزْدَوِيُّ النَّسَفِيُّ دِهْقَانُ قرية بَزْدَة، وَثَّقَهُ الأَمِيْرُ ابْنُ مَاكُوْلا. وَقَالَ: كَانَ آخِرَ مَنْ حدَّث (بِالجَامِعِ الصَّحِيْح) عَنِ البُخَارِيّ، انظر ترجمته كاملة بسير أعلام النبلاء، للذهبي، ج 15 ص 275 وما يليها، ترجمة رقم 123.

21 الإِمَامُ، المحَدِّثُ، الصَّدُوْقُ، أَبُو مُحَمَّدٍ حَمَّادُ بنُ شَاكِرِ بنِ سَوِيَّةَ النَّسَفِيُّ. حَدَّثَ عَنْ: عِيْسَى بنِ أَحْمَدَ العَسْقَلاَنِيِّ، وَمُحَمَّدِ بنِ إِسْمَاعِيْلَ البُخَارِيِّ، وَأَبِي عِيْسَى التِّرْمِذِيِّ، وَطَائِفَةٍ. وَهُوَ أَحَدُ رُوَاةِ (صَحِيْحِ البُخَارِيِّ) عَنْهُ. انظر ترجمته كاملة بسير أعلام النبلاء، للذهبي، ج 15، ص 5 وما يليها، ترجمة رقم 1.

22 الحَافِظُ، الإِمَامُ، المجَوِّدُ، العَلاَّمَةُ، شَيْخُ الحرمِ، أَبُو ذَر عَبْدُ بنُ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ غُفير بن مُحَمَّدٍ، المعْرُوفُ بِبَلَدِهِ: بِابْنِ السَّمَّاكِ الأَنْصَارِيُّ، الخُرَاسَانِيُّ، الهَرَوِيُّ، المَالِكِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ، وَرَاوِي (الصَّحِيْح) عَنِ الثَّلاَثَةِ: المسْتَمْلِي، وَالحَمُوِيِّ، وَالكُشْمِيْهَنِيِّ، انظر ترجمته كاملة، بالسير، ج 17، ص 554 وما يليها، ترجمة رقم 370.

23 الحافظ ابن حجر، فتح الباري، ج 1، ص 12.

24 الإِمَامُ، المحَدِّثُ، الصَّدُوْقُ، المسْنِدُ، أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ حَمُّوَيْه بنِ يُوْسُفَ بنِ أَعْيَنَ، خَطِيْبُ سَرَخْس. سَمِعَ فِي سَنَةِ سِتَّ عَشْرَةَ وَثَلاَثِ مائَةٍ: (الصَّحِيْحَ) مِنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الفِرَبْرِيِّ، انظر ترجمته كاملة بسير أعلام النبلاء ج 16 ص 492 ترجمة رقم 363

25 المحَدِّثُ، الثِّقَةُ، أَبُو الهَيْثَمِ مُحَمَّدُ بنُ مكِّيِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ مكِّيِّ بنِ زرَّاعِ بنِ هَارُوْنَ المَرْوَزِيُّ الكُشْمِيْهَنِيُّ. حَدَّثَ بِـ (صَحِيْحِ) البُخَارِيِّ مَرَّاتٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الفِرَبْرِيِّ، وَحَدَّثَ عَنْ: عَبْدِ اللهِ بنِ (2) مُحَمَّدِ بنِ إِبْرَاهِيْمَ بنِ يَزِيْدَ المَرْوَزِيِّ الدَّاعُوْنِيِّ، وَمُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ بنِ عَاصِمٍ، وَإِسْمَاعِيْلَ بنِ مُحَمَّدٍ الصَّفَّارِ، وَغَيْرِهِمْ. حَدَّثَ عَنْهُ: أَبُو ذَرٍّ الهَرَوِيُّ، وَأَبُو عُثْمَانَ سَعِيْدُ بنُ مُحَمَّدٍ البَحِيْرِيُّ، وَأَبُو الخَيْرِ مُحَمَّدُ بنُ أَبِي عِمْرَانَ الصَّفَّارُ، وَأَبُو سَهْلٍ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ الحَفْصِيُّ، وَكَرِيْمَةُ المَرْوَزِيَّةُ المجَاوِرَةُ، وَآخَرُوْن. انظر سير أعلام النبلاء، ج 16 ص 491، ترجمة رقم 361.

26 الإِمَامُ، المحَدِّثُ، الرَّحَّالُ، الصَّادِقُ، أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيْمُ بنُ أَحْمَدَ بنِ إِبْرَاهِيْمَ بنِ أَحْمَدَ بنِ دَاوُدَ البَلْخِيُّ المسْتَمْلِي، رَاوِي (الصَّحِيْحِ) عَنِ الفِرَبْرِيِّ. حَدَّثَ عَنْهُ: أَبُو ذَرٍّ عَبْدُ بنُ أَحْمَدَ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ خَالِدٍ الهَمْدَانِيُّ بِالأَنْدَلُسِ، وَالحَافِظُ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ العَبَّاسِ البَلْخِيُّ. وَكَانَ سَمَاعُهُ لِـ (الصَّحِيْحِ) فِي سَنَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ وَثَلاَثِ مائَةٍ. انظر سير أعلام النبلاء ج 16 ص 492 ترجمة رقم 362.

27 الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الحَافِظُ، فخر الأندلس، القَاضِي، أَبُو عَلِيٍّ الحُسَيْنُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ فِيرّه بن خَيُّونَ بن سُكَّرة الصَّدفِي، الأَنْدَلُسِيّ، السَّرَقُسْطِي. انظر سير أعلام النبلاء، ج 19، ص 376، ترجمة رقم 218.

28 الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الحَافِظُ، ذُو الفُنُوْنِ، القَاضِي، أَبُو الوَلِيْدِ سُلَيْمَانُ بنُ خَلَفِ بنِ سَعْدِ بنِ أَيُّوْبَ بنِ وَارِثٍ التُّجِيْبِيُّ، الأَنْدَلُسِيُّ، القُرْطُبِيُّ، البَاجِيُّ، الذَّهَبِيُّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ. أَصلُهُ مِنْ مدينَة بَطَلْيَوس، فَتحوّل جَدُّه إِلَى باجَة – بُليدَة بِقُرْبِ إِشبيلِيَة – فَنُسب إِلَيْهَا. انظر سير أعلام النبلاء، ج 18 ص 535 و536، ترجمة رقم 274.

29 اليونيني الإِمَام الْعَالم الْمُحدث الْحَافِظ أَبُو الْحُسَيْن عَليّ بن مُحَمَّد ابْن أَحْمد بن عبد الله شرف الدّين كَانَ عَارِفًا بقوانين الرِّوَايَة حسن الدِّرَايَة جيد الْمُشَارَكَة فِي الْأَلْفَاظ وَالرِّجَال عني بِالْحَدِيثِ وَضَبطه ولد فِي رَجَب سنة إِحْدَى وَعشْرين وستمِائَة وَسمع ابْن الصّلاح وَالْمُنْذِري وَابْن الجميزي والرشيد الْعَطَّار وَابْن الزبيدِيّ وخلقاً وَكَانَت لَهُ رحْلَة وأصول وَقَرَأَ البُخَارِيّ على ابْن مَالك تَصْحِيحا وَقَرَأَ ابْن مَالك عَلَيْهِ رِوَايَة وأملى عَلَيْهِ فَوَائِد مَشْهُورَة قَالَ الذَّهَبِيّ تخرجت بِهِ مَاتَ فِي رَمَضَان سنة إِحْدَى وَسَبْعمائة. انظر طبقات الحفاظ للسيوطي، ص 520 ترجمة رقم 1141.

30 عنوان الكتاب "معاني الوفاء بمعاني الاكتفاء"، وهو شرح على سيرة الكلاعي، منه نسختين خطيتين بالخزانة العامة بالرباط، تحت عدد 1814 ك و162 ك كما ذكره صاحب السلوة وفي الخزانة الملكية نسخ كثيرة منها: 2654، 2663، 3356...

31 توفي رحمه الله سنة 1009هـ انظر ترجمته في صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، ص 241

32 المقصود كتاب "مرآة المحاسن من مناقب أبي المحاسن"

33 بتصرف شديد من كتاب "التنويه والإشادة بمقام رواية ابن سعادة"، للشيخ محمد عبد الحي الكتاني، من ص 53 إلى ص 66.

34 محمد المنوني "صحيح البخاري في الدراسات المغربية من خلال رواياته وأصوله"، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد التاسع والأربعون، العدد الثالث، جمادى الثانية 1394 هـ، ص 522 وما يليها. –بتصرف شديد–

35 أبو جعفر الضبي، الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، ص 456، ترجمة رقم 1330.

36 ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، ج2 ص 177، ترجمة رقم 454.

37 ابن الأبار، معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، ص 190.

38 أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، ج 2 ص 221.

39 أبو حامد محمد العربي الفاسي الفهري، مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، ص 117.

40 أبو الطيب محمد صديق خان القنوجي، التاج المكلل من جواهر الطراز الآخر والأول، ص 313، ترجمة رقم 358.

41 محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج 1 ص 215، ترجمة رقم 483.

42 ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص 363.

43 التنويه والإشادة بمقام رواية ابن سعادة، من ص 80 إل ص 88 –بتصرف شديد–.